حي" أرض جاربو" برأس العين ،إستمرارية أم قطيعة مع المدينة ؟

مساهمة في تحليل الواقع الحضري بوهران

طيب إبراهيم علي

أستاذ مساعد قسم أ،كلية العلوم الإجتماعية و الإنسانية ،جامعة عبد الحميد إبن باديس ،مستغانم

t.alidz@gmail.com

لطالما إقترنت تسمية "المدينة" بطريقة الحياة المميزة لساكنة لها من القيم، أنماط السلوك و أشكال العلاقة مع الغير ما يميزها، فترسم بذلك صورة للمدينة في مقابل صورة للريف ، و هذا ما يمكن الوقوف عليه عند القيام بأبسط مقارنة بين النموذجين (مدينة/ ريف) المتعارضين بوضوح من الناحية النظرية . ولا مفر هنا من التذكير بما أشار إليه إبن خلدون حول التباين بين البداوة و الحضارة في مقدمته الشهيرة ،لكن يبقى أن الملفت عنده ليس قدرته على تمييز البداوة عن الحضارة كشكلين إجتماعيين يؤسسان لنوعين من الفضاءات ، بل إعتباره البداوة كمقدمة للحضارة من خلال إمكانية الإنتقال من حالة لأخرى في شكل حراك إجتماعي سياسي قادر على تغيير أسلوب حياة كامل ، لذا وتبعا لما يراه إبن خلدون يحصل أن نصادف بدوا أثناء تحولهم يعيشون المراحل الأولى للمدينة [1]. و هذا الطرح الذي يميز بين الحياة الحضرية و الريفية بدون أن ينفي التداخل بينهما و لا يضع حدودا فاصلة ذات طابع حتمي_قد لا تصدق إلا بشكل نظري_، يلفت نظرنا إلى التعقيدات التي تحيط بالظاهرة الحضرية.

إن الحديث عن المدينة يجعلنا نستحضر العلاقة(فضاء/إنسان) و العلاقة الملازمة لها أي(إنسان/ إنسان)،بحيث يمكننا عموما أن نحصر وجود المدينة بين العلاقتين بالشكل الذي يجعل الفضاء دعامة للحياة الإجتماعية الحضرية ،ويجعل الحضريين يؤثرون في بعضهم البعض داخل ذلك الفضاء و في نفس الوقت يتأثرون به و يؤثرون فيه لينتج في الأخير ما تطلق عليه مدرسة شيكاقو بالمدينة "كوسط ايكولوجي "،[2] لكن إلى أي مدى هذا التصور يطابق الواقع الحضري الجزائري؟ ، وإلى أي حد تسمح لنا المعطيات الميدانية بالحديث عن المدينة الجزائرية كفضاء يحتضن بشكل قطعي و واضح حياة إجتماعية متميزة عن نظيرتها الريفية ؟، وهل فعلا المدينة الجزائرية هي تكريس لنموذج حياة حضري موحد و وفي لمعنى التحضر؟.

محاولة الإجابة عن ما سبق تدفعنا لتسليط الضوء على حقيقة ما يجري داخل المدينة الجزائرية بعيدا عن ما يقال حول ثنائية (مدينة/ ريف) وحول إمكانية الفصل الواضح والسهل بينهما ، الأمر الذي يعد تبسيطا لما هو عليه الواقع الفعلي من تعقيد وتداخل أحيانا بين النموذجين وتشابه مربك بينهما أحيانا أخرى ، لنقول عندئذ :أغريبة هي مدننا أم ثرية بشكل لا يمكننا تقبله أو فهمه؟ ، و ما هي أنسب الزوايا لمقاربة المدينة الجزائرية بتلك الخصوصيات ،إذا ما أخذنا في الحسبان طبيعة المكون البشري للمدينة و مسألة الأصول الجغرافية ذات المنشأ الريفي وطول فترة إقامة الأفراد أو قصرها داخل المدينة؟.

قد لا نملك الإجابة التي يمكن تعميمها على كل المدن الجزائرية ،لكن يمكننا أن نقدم صورة لواقع حضري مصغر أي :على مستوى مدينة من المدن الجزائرية المعروفة والمهمة نسبيا من حيث تصنيف المدن الجزائرية ، ونعني هنا "مدينة وهران ".

تعتبر وهران إحدى المدن الجزائرية التي إرتبط إسمها بحالة التحضر و المدنية مند زمن بعيد ، فوهران ورثت واقعا حضريا ملفتا للإنتباه مند تأسيسها من طرف التجار الأندلسيين في 902-903 للميلاد ، مرورا بالفاطميين فالمرابطين ،ثم الموحدين فالزيانيين، الحفصيين فالمرينيين ، وصولا إلى مرحلة الإستعمار البرتغالي الأولى و الثانية (1415-1471) ، ليحين دور الإستعمار الإسباني لوهران ما يزيد عن القرنين من الزمن (1509 -1708، 1732-1792) ، إلى أن يحررها الأتراك متخذين منها عاصمة لبايلك الغرب و قاعدة عسكرية إستراتيجية للتحكم في الملاحة البحرية المتوسطية[3] ، ثم يحين دور الإستعمار الفرنسي لوهران في 1831 ، ولكن بالتدقيق في الواقع الحضري الراهن لهذه المدينة نجد أن عددا من فضاءاتها لا تخضع لمنطق المدينة ولا لما يجب أن تكون عليه ، فمظهرها يوحي بالإقصاء و التهميش ، وحالة ساكنتها ووضعيتهم المعيشية لا تخرج عن الوصف سابق الذكر ،بل وأبعد من ذلك فقد يخيل إليك وأنت بداخلها أنك غادرت المدينة لتحل بمكان غيرها ،مكان لا تحتاج لإمعان النظر فيه حتى تستنتج أنه يشكل فارقا مع ما سبق وأن سميناه "مدينة".ومن بين تلك الفضاءات يمكننا الحديث عن حي" أرض جاربو" بمنطقة رأس العين الشهيرة بوهران .

من شأن النقاش حول الثنائية مدينة – ريف أن يندرج ضمن منطق المقارنة العادية بين نموذجين من الفضاءات والساكنة وكل ما يلحق بهما ، لكن مناقشة نفس الثنائية داخل نفس النموذج يمكن إعتبارها مدعاة صريحة للتناقض أو الخلط وحتى عدم الفهم ، في حين أن الواقع الحضري لوهران غير ذلك تماما ،لأنه يتحمل وجود ثنائية المدينة – ريف في آن واحد وهو الحال بالنسبة لحي "أرض جاربو".

حي "أرض جاربو"

أصل تسمية حي "أرض جاربو" ترجع إلى الفترة الإستعمارية ،بحيث أن السلطات الفرنسية آنذاك _العسكرية تحديدا _وقصد إدراج مجموعة من الملكيات المتواجدة بمنطقة رأس العين ضمن قاعدة بياناتها ، وظفت تسميات تبدأ بكلمة "أرض" Terrain يتبعها الإسم العائلي لملاك الأرضي وأغلبهم من المعمرين الإسبان ، فنتج عن ذلك تسميات مثل :("أرض جاربو" ، "أرض ميراندا" ، "أرض قزال"، أرض لوبون...إلخ) إستخدمتها الإدارة الفرنسية و تستخدمها لغاية اليوم الإدارة والساكنة الجزائرية .

إن هذا الحي يمثل عينة عن الأحياء التي تقدم صورة مغايرة لما هي عليه وهران المدينة لأنه يشكل قطيعة حقيقية معها ومن عدة نواحي بالرغم من كونه إستمرارية لها من الناحية المكانية الجغرافية ، و المميز لذا الحي أنه يقع ضمن نطاق ما يعتبر إداريا "بلدية وهران"، أي أنه يقع ضمن الحيز الضيق للمدينة على عكس كثير من الأحياء المشابهة له ،والتي تعتبر نتيجة للتوسع العمراني غير المخطط له أو العشوائي كما يفضل البعض تسميته [4] ،والتي تغيب عنها هي الأخرى مظاهر المدينة ، وفي نفس السياق فحي أرض جاربو هو جزء من منطقة رأس العين التي ترجع للفترة الإستعمارية من حيث النشأة و التطور ، لأن هذه المنطقة عرفت

تمركزا للساكنة تماشيا مع المراحل المتقدمة من تطور مدينة وهران التي طالما إرتبطت بوجود الماء والذي كان سببا في الإنتشار الواسع للبساتين بالمنطقة ، وسببا في إستقرار جزء مهم من الساكنة والتي قدرت تبعا لإحصاء سكان الضواحي سنة1936 بـ1079 نسمة [5] . ومن خلال كل ما سبق، فالحي المذكور له ميزة إضافية مقارنة بالأحياء الشبيهة به، بحيث لا يمكن إعتباره حديث النشأة أو مجرد منطقة سكنية عشوائية إلتصقت بمدينة وهران مع مرور الزمن وهذا ما يؤكده ليسباس بقوله:"... المجرى المائي لرأس العين كان وراء تكون النواة الحضرية الأولى للمدينة و أنه يحتضن المدينة القديمة "[6] ، إضافة إلى أن حركة التهيئة الحضرية العسكرية الفرنسية[7] لمدينة وهران مست أجزاء من منطقة رأس العين كونها أحد أماكن تمركز الساكنة المسلمة بوهران وبمنطق السلطات الإستعمارية فإنها تمثل بؤرا للمخربين .من بين مميزات هذا الحي أيضا أننا لا نستطيع تحديد خارطة دقيقة للوضعية القانونية للأراضي والسكنات المتواجدة به بسبب إنتقال الملكيات عن طريق عقود غير مسجلة إداريا من جهة ، ومن جهة أخرى فإن بعضها يعود للفترة الإستعمارية ، في حين غالبية الأراضي و السكنات المتواجدة بالحي لا تستجيب لأي وضعية قانونية ، بإستثناء ما يمكن أن نصفه بالإعتراف الضمني بها من طرف الجهات الرسمية لمدينة وهران و المتمثل في ما تم تدوينه في سجلات الإحصاء الخاص بالسكنات الهشة الذي قامت به السلطات في سنة 2007 [8] ، ثم قائمة الأسر والسكنات التي أنجزت بغرض ترحيل جزء من سكان الحي نحو حي الصباح في إطار ما يعرف بالقضاء على "السكنات الفوضوية" . لكن بالمقابل هناك بعض المعطيات "الرسمية" حوله مثل ما ورد في التقرير الصادر عن مكتب الدراسات (URSA) والذي يشير إلى المنطقة التاسعة التي يتواجد بها حي أرض جاربو[9] و هذا التقرير يقدم لنا تفصيلا واضحا للوضعية المادية بالحي عندما يتحدث عن عدم توفر الطرقات و عن صعوبة الولوج إلى هذه المنطقة من المدينة ، كما يشير إلى خطر الإنزلاق المحتمل لكثير من مساحاتها كونها ذات طبيعة طينية ويضاف إلى كل هذا الإنحدار الشديد للموقع و تواجد المباني الهشة بمجرى مائي ، الأمر الذي صنفت من أجله منطقة رأس العين التي يقع بها الحي ضمن فئة الأولوية رقم 3. [10] عندئذ لنا أن نتسائل من جديد عن الكيفية التي أمكن بها تواجد حي بهكذا خصوصيات مادية و إجتماعية، والتي هي أبعد ما تكون عن الفضاء المديني على الرغم من أن هذا الحي ينتمي للمراحل الأولى لتكون المدينة نفسها ؟، كما يمكننا أن نتساءل حول ماهية هذا الحي و الطبيعة التي يتواجد بها .

الملفت للإنتباه هو الإرباك الذي نحس به عندما نستعين بمعلومات الإدارات المختلفة حول تحديد منطقة رأس العين ، حي سيد الهواري و حي الصنوبر ، خاصة وأن المسألة كلها مرتبطة بأماكن مرور واد رأس العين لذا ظهرت التفرقة بين منطقتين سكنيتين تشتركان في مجرى واد رأس العين الأولى يشار من خلالها لمنطقة سيد الهواري ، والثانية أكثر إتساعا من حيث المساحة تضم حي الصنوبر و رأس العين ،كما أنه لا يوجد تصور واضح لدى السلطات العامة يسهل الفصل بين حي الأمير خالد و حي الكميل فيما يتعلق بحدودهما مع منطقة رأس العين لسبب بسيط وهو غياب أي قاعدة دقيقة من المعطيات حول عدد السكان أو توزعهم عبر منطقة رأس العين ، بل أبعد من ذلك فالمنطقة سالفة الذكر ككل تدرج ضمن خريطة بلدية وهران بدون تفاصيل واضحة على أساس أنها منطقة "غير مهيئة حضريا" و "غير شرعية"، و الملفت للإنتباه هو تتكرر هذه التسمية في الخطاب الرسمي للقائمين

على المدينة و ببداهة شديدة لا تدع مجالا للشك بمدى الإقصاء الممارس إتجاه منطقة رأس العين عموما وحي أرض جاربو كجزء منها[11] .

التجهيزات بالحي

يمكن إعتبار التجهيزات بأنها تلك الضروريات التي يتطلبها وجود تجمع سكاني كي يتمكن ساكنوه من ممارسة حياة عادية ، كما أن التجهيزات تساهم في تسهيل حياة الساكنة بالقدر الكافي الذي لطالما جعل و يجعل السكن بالمدينة إمتيازا يسعى الكثير للحصول عليه [12] ، و التجهيزات بهذا المعنى غائبة عن الحي بكل ما للكلمة من معنى ،لأنه وبوضوح تام يمكننا إكتشاف هشاشة بنيته التحتية بمجرد إلقاء نظرة بسيطة عليه، فالمنظر العام يوحي بالتواجد داخل منطقة ريفية معزولة لم تخضع لتخطيط مسبق ولا تتوفر على طرقات و لا أرصفة، بل شبكة من الممرات الضيقة تجتمع لتشكل متاهة حقيقية لا يدرك تفاصيلها عادة سوى سكان الحي أنفسهم[13] ،و هذا نتيجة لعدم خضوع الحي لأي تهيئة مسبقة ،والواقع أن (الطرقات) أو الممرات بتعبير أدق ليست سوى المساحات المتبقية من الأراضي بعد بناء المنازل قصد السماح بحركة الأشخاص ،لذلك فلا يهم كثيرا أن تكون فسيحة مستقيمة ومريحة لمرتاديها ، لأن ذلك سيكون على حساب المساحات المخصصة للبناء ولا شيء يفرض على السكان التخلي عن جزء من مساحة سكناتهم لتستقيم تلك الممرات لأنه ببساطة وفي الحالة التي لا يكون فيها الفضاء خاضع لسلطة الأجهزة الإدارية التي تمثل سلطة الدولة ، فإن الأفراد يتملكونه بكل حرية ويحققون رغباتهم من خلاله ، لذلك نجد بوشانين (F.N,BOUCHANINE)تتسائل حول المكانة الحقيقية للقوانين و السلطة الفعلية للقائمين على تسيير الفضاء الحضري عندما تستعرض مسألة التملك الفضائي داخل المدينة[14] ،وهذا خلافا لما يجب أن تكون عليه أحياء المدن ، لأنه في هذه الأخيرة تتم تجزئة المناطق السكنية مع مراعاة تخصيص مساحات كافية لمجموعة من الضروريات ،فينتج عن ذلك الشوارع المتقاطعة ، الطرقات المستقيمة و الزوايا القائمة بعدد كاف نستشعر من خلاله ملامح المدينة، ثم إن حالة كل من الماء ، الغاز ، والكهرباء ليست بأفضل من سابقتها فالماء متوفر لعدد من المنازل فقط بينما يضطر بقية ساكني الحي للحصول عليه من خلال مجهود شخصي عن طريق شق القناة الرئيسية التي تمر أعلى الحي و من تم وصل التمديدات بالمنازل ،فيصبح الحصول على الماء أسهل بل و بشكل مجاني للكثير من السكان وينتج عن ذلك مظهر القنوات المائية التي تخترق الممرات بالحي والموضوعة فوق الأرض مما يجعلها سريعة العطب ومنه التسربات المستمرة بالحي ومظهر الأوحال الدائم، والمنطق نفسه ينطبق على الكهرباء وهو ما تعكسه التوصيلات الكهربائية المتشابكة و المتدلية من أعمدة الإنارة الرئيسية نحو كل الإتجاهات ، لأنه وجب التأكيد على مبدأ مشترك بين المناطق السكنية الهشة و أحياء الصفيح في الجزائر و في الكثير من دول العالم وهو مجانية (الماء و الكهرباء) بنسبة كبيرة ،لدرجة تصبح الإقامة بمناطق سكنية مماثلة إمتيازا في حد ذاته من خلال ما توفره من سهولة الإستقرار بها[15] ،وفي الأخير يشترك كل سكان الحي في عدم توفر الغاز ، أما فيما يتعلق بالمرافق العامة التي تقدم الخدمات فيكفي الإشارة إلى نوعين منها ، أي الصحية و التعليمية وهي غائبة تماما .

كل ما سبق يجعلنا نستحضر بشكل متناقض معنى الحق في المدينة الذي ينادي به لوفيبر والذي يجعل المدينة في خدمة البشر وهو ما لاينطبق على حي أرض جاربو جملة وتفصيلا، مع أن لوفيبر كان يدعو من خلال الحق في المدينة إلى أبعد و أرقى من مجرد توفير الضروريات اللازمة لحياة محترمة ، فهو كان ينشد مستويات أعلى بذلك بكثير تصل إلى إشراك ساكنة المدن في إنتاج و حتى تسيير واقعهم بحيث يتفادون كونهم مجرد كيانات خاضعة لهيمنة أصحاب السلطة في المدن ، وبتعبير آخر جعل المدينة أكثر إنسانية[16]

السكان و حييهم

من وجهة نظر علم الإجتماع الحضري عموما ، وفي إطار ما طورته مدرسة شيكاقو من أفكار حول المدينة ،يقدم الفضاء المادي كسند للحياة الإجتماعية التي تنشأ داخله[17]، وفي كثير من الأحيان يتعدى ذلك الفضاء معنى الجماد ليصبح ذو قدرة تأثيرية على تلك الحياة الإجتماعية التي يحتضنها بل و موجها لها بالقدر الذي تصبح فيه مرآة للواقع المادي نفسه ، بحيث يشجع فضاء المدينة على التجمع بشكل معين بل و يملي أشكال العلاقات الإجتماعية ، عندئذ نتحدث عن الظاهرة الحضرية كنمط حياة .لهذا فإن محاولتنا تفسير طبيعة حي أرض جاربو تمر عبر محاولتنا لفهم العلاقة بين طبيعته المادية و طبيعة ساكنته.

لقد شهد حي أرض جاربو حركة وإقبالا ملفتين للإنتباه في التسعينيات على مرحلتين أولاهما تعكس بداية أزمة السكن ، حيث أحياء مثل أرض جاربو ،عين البيضاء ،دوار (B)، الحاسي ،أصبحت حلا لمشكلة السكن بالنسبة لذوي الدخل المتوسط و الضعيف، أو الراغبين في الإستقرار بمدينة وهران بأقل التكاليف وبعيدا عن البيروقراطية التي تتطلبها الطرق الرسمية للحصول على السكن الإجتماعي في حالة ما إذا وجد ، وهنا وفرت أحياء مثل أرض جاربو الفضاءات السكنية اللازمة للإستقرار في ظل أزمة سكن خانقة.أما المرحلة الثانية فترتبط بحركة الهجرة الداخلية الكبيرة نحو المدن هروبا من خطر الأوضاع الأمنية غير المستقرة التي أترث بشكل واضح على الحياة في الأرياف و المدن الداخلية بسبب نقص التغطية الأمنية أحيانا و الإنعزال أحيانا أخرى ،ما جعل الحي يستقبل عددا من العوائل من ولايات غربية مختلفة كغليزان ، تيارت ...إلخ، حيث أصبح قبلة مفضلة لكثير من النازحين لما يوفره من مزايا و خصوصيات تسهل الإستقرار به مقارنة بأحياء المدينة الأخرى ،دون أن ننسى أن تمركز النازحين إستند على منطق العلاقات القرابية [18].

من الطبيعي لفضاء بالخصوصيات التي سبق ذكرها أن يستقطب نوعية خاصة من الساكنة ذات منشأ ريفي والتي سبق الإشارة إليها فيما يتعلق بمسالة الهجرة نحو المدينة بمختلف مسبباتها، الأمر الذي نتج عنه تضاعف عدد سكان حي جاربو ، لكن ما مدى واقعية هذا التفسير المبسط عندما نتذكر قدم هذا الحي ؟ومنه فإن الهجرة نحو المدينة سواء التي تلت الإستقلال مباشرة أو التي إرتبطت بفترة التسعينيات بمرحلتيها لا تفسر سبب تواجد الساكنة به قبل الفترات المذكورة .ومن أجل الإجابة عن ما سبق لا بد من الرجوع إلى الماضي، أي الفترة التي نشأت فيها المناطق السكنية القديمة بوهران كإستجابة لمنطق القوة المفروض من طرف الإستعمار الفرنسي حيث أجبرت الساكنة المحلية (الآهالي أو المسلمين)كما تم تسميتهم آنذاك[19] على التجمع في مناطق معينة

من وهران وحرمت عليهم غيرها أي "المدينة الأوروبية" التي أنشأت بالقوة وهذا ما أشرنا إليه سابقا تحت مسمى فترة التهيئة الإستعمارية لوهران والتي سمحت بإعطاء شكل معين لهذه المدينة يستجيب للمنطق الأمني ،فأصبحت وهران تضم الأحياء السكنية الخاصة بالأهالي أو المسلمين في مواجهة المدينة الأوروبية بكل خصائصها والتي أقصي منها غير الأوروبيين بحيث برزت فضاءات التهميش الحضري بوهران التي شغلها أولئك المقصون إجتماعيا وثقافيا من مدينة وهران مما أدى إلى كثافة سكانية كبيرة بالأحياء المسلمة وإتساع مساحة أحياء الصفيح [20]،و بالرجوع إلى الواقع نجد أن كثيرا من أهل الحي فضلوا البقاء به حتى بعد مغادرة المستعمر ويبررون موقفهم بكون المنطقة ملائمة لما هم عليه وبأن فضاءات المدينة الأخرى غريبة عنهم ولا تلائمهم بحيث أمكنهم تربية الدواجن أو غرس مجموعة من الخضروات كما أن القرب من العائلة الموسعة والشعور بالأمان عند مشاركتها نفس الفضاء ،كلها أمور لم يرغب قدماء سكان الحي في التخلي عنها ،وهنا تظهر مدى واقعية عبارة "قرى داخل المدن "[21] بالنسبة لأحياء المسلمين أثناء الفترة الإستعمارية ،عندئذ يصبح بالإمكان التأكيد على أن هذا الحي يقدم لنا شيئا خاصا وهو تأرجحه بين ثنائية (المدينة/ريف) بسبب طبيعة الأصول الريفية لأغلبية ساكنيه وفي نفس الوقت جزء لا بأس به من هؤلاء عايشوا الواقع الحضري الوهراني مند الفترة الإستعمارية ، لذلك يصبح من المهم تسليط الضوء على أشكال الممارسات المختلفة لفضاءات الحي للوقوف على ما تقدم.

الطريق ذلك الفضاء الذكوري

بالرجوع إلى ما سبق ذكره من تجهيزات وتحديدا (الطرقات) الممرات بالحي وبعيدا عن ما هي عليه من الناحية المادية ، فإن خاصية ضيقها وكثرة إلتفافها تؤدي وظيفة مهمة وهي المحافظة على الإتصال المباشر و الدائم بين سكان الحي، لأن اللقاءات بينهم في تلك الممرات و على ما هي عليه من ضيق تدفعهم للمرور بالقرب من بعضهم البعض بشكل يفرض عليهم التواجه الذي يستحيل معه تجاهل الآخر بكل بساطة ،خاصة إذا ما علمنا أن هناك (طريقا) واحدة يضطر كل السكان إلى المرور بها من و إلى الحي مما يزيد من فرص التقائهم اليومية التي كثيرا ما تستدعي إلقاء التحية بل وحتى السؤال عن الأحوال الشخصية ومنه تعزيز الشعور بالتواجد معا في نفس الفضاء و تقاسمه وهذا من شأنه أن يقوى علاقات إجتماعية تتميز بالقرب الموجود أصلا بين السكان ، وهنا نجد أن شكل (الطريق) بالحي على ما هو عليه من إختلاف و تواضع [22] مقارنة بأحياء المدينة يحافظ على شكل من أشكال العلاقات الإجتماعية بين السكان وبل ويعززها مناقضا بذلك ما يقوم به الفضاء المديني عادة أو ما ينسب إليه من خصائص. كما أن تلك (الطرقات) الممرات تكاد تنحصر من حيث مرتادوها على العالم الذكوري بالشكل الذي تصدق به عليها تسمية الفضاء الذكوري بإمتياز وهنا نستحضر محاولة بورديو تفسير الفرق بين "الخارج "الفضاء الرجالي و "الداخل" الفضاء النسوي، في علاقة ذلك بمنظومة (النيف،الشرف ،الحرمة ،الحرام) [23] فجزء كبير من نساء الحي الماكثات بالبيت في غالبيتهن قلما يستعملنها وبالقدر الذي تتطلبه أمورهن المهمة و الأكثر شخصية و المبررة ، عندئذ يصبح سلوك المرافقة من طرف (الأب الزوج الإبن الأخ ولو صغر سنه)الذي تعتمده النسوة بالحي مفهوما ، من المهم التذكير بأن الطريق أو الممر كفضاء عام بالحي يخضع لإتفاق ضمني بين أغلب أفراد الساكنة يجعله ملكا شرعيا لكل ما هو ذكوري ، وبالمقابل يكاد يكون ممنوع على كل ما هو نسوي، والأمر نفسه يقال عن الشابات أو الفتيات بإستثناء علاقتهن بالتمدرس وهو ما يعتبر مستحدثا أين يصبح تواجدهن

بطرقات الحي مقبولا لكن ضمن نطاق معين ،لأن وقوفهن بالطريق دونما سبب واضح أو حتى تباطئهن عند المشي يجعلهن عرضة للإنتقاد ،كما أن متطلبات الحياة اليومية التي تستدعي جلبها من خارج المنزل يتكفل بإحضارها عادة الذكور (الأب ، الزوج الإخوة الذكور) وذلك تبعا لتقسيم الأدوار المتفق عليه في إستجابة لنموذج التنشئة الإجتماعية الذي يحتضنه حي أرض جاربو كما يدعمه التجانس بين عدد من ساكنته فيتولد بذلك شكل من أشكال" لابيتوس "مختلف عن الذي توفره و تدعمه أحياء المدينة الأخرى لأن قيمة "لبيتوس" تتجلى في لعبه دور المنظم للتمثلات و الممارسات معا [24]، والأمر نفسه يقال عن السجل الثقافي الذي يستند إليه فيما يتعلق بالمباح و المحظور بالنسبة للعنصر الأنثوي.

الآن وبعد كل ما سبق لقائل أن يقول بأن هذا الطرح يجانب الحقيقة وتطغى عليه الأحكام القيمية المسبقة و المنتجة حول طبيعة بعض الأحياء بوهران كحي أرض جاربو أو منطقة رأس العين وما يلحقها عموما من مناطق سكنية شبيهة بها في علاقتها بالثقافة الريفية والذي قد لا يعدو كونه مجرد إسقاطات نظرية على واقع أعقد مما يبدو لنا، لكن لا بد من التذكير في هذا المقام بأن ما تم تأكيده حول شبه غياب العنصر الأنثوي من الطرقات مرتبط بالتواجد داخل الحي فقط ، وبنوعية معينة من ساكنته فمن جهة جزء من الساكنة لا تستجيب للوصف سابق الذكر كونهم يندرجون تحت مسمى "الوافدين الجدد" _الذين لا أصل لهم يضطرهم للإستحياء _بلغة سكان الحي ومن جهة أخرى فإن كثير من نساء الحي أو الشابات يتغير تصرفهن بأحياء أخرى من المدينة وهنا تبرز إزدواجية في السلوك وهو ما يفسره التواجد بفضاء دون غيره وقد سبق الإشارة إلى أن الفضاء المادي يؤثر في السلوك بل ويوجهه لأن ما أكدناه يرتبط بالتواجد بـ(طرقات) الممرات بالحي و ينطبق عليه مائة في المائة ومرتبط بما تفرضه مجموعة التعارف المتبادل، لكن عند مغادرة الحي يمكن للأمور أن تتغير، وهذا ما يجعلنا نشارك رأي نسيمة دريس حول طبيعة الفضاء العمومي في جزئيته المتعلقة بكون الفضاء العمومي يسمح بالتواجد ضمن ما تسميه نسيمة دريس (**la foule**)[25]، التي تسمح لنا بالإنعتاق من القيود التي يفرضها حي مثل أرض جاربو بحيث نذوب وسط الحشود بالشكل الذي نصبح فيه أحرار ،فقد تتوجه نفس النسوة التي ليس من مصلحتهن البقاء لمدة طويلة بممرات الحي أو حتى كثرة ترددهن عليها إلى مناطق أخرى بوهران ليبقين بها لفترات طويلة ويتجولن و يقفن كما يحلوا لهن ،وأفضل مثال على ذلك التواجد بحي المدينة الجديدة قصد التبضع لساعات طوال ولأكثر من يوم في الأسبوع .

إن الفضاء الذي تمثله (الطرقات) الممرات بالحي و المحظور إلى حد ما على كثير من العناصر الأنثوية يتم تعويضه بفضاءات أخرى مفتوحة داخل المسكن تسمح بالتواجد في صلة مباشرة مع النور و الهواء وحتى مع الأخريات ،وهنا نحن بصدد الحديث عن الفناء و السطح داخل المسكن كبديلين عن العالم الخارجي فالعمارة العربية تتجه عموما نحو حجب المرأة.[26]

"الحومة ":علاقات جوار متميزة داخل المدينة

من البديهي إعتبار أنه لا وجود لعلاقات جيرة متينة إلا إذا كان الجوار يعكس حرية المتجاورين في إختيار بعضهم البعض، والمقصود هنا حصول التجانس بينهم لأن القدرة على إختيار الجار تعني السماح للمتجاورين بالبحث عن قواسم مشتركة تجمعهم

وهو ما سوف يعكس قربهم الإجتماعي و الإقتصادي و الثقافي ...إلخ ، لكن الأهم من ذلك هو التساؤل عما إذا كانت المدينة التي يتجاور ساكنيها بالضرورة داخل الجداول الإحصائية ،تسمح لساكنتها بتجسيد هذا النوع من الجوار ؟ .

إن الإجابة بالنفي عن السؤال السابق كثيرا ما تكون الأقرب للواقع ،وذلك هو شأن ما عليه علاقات الجيرة بالمدن عموما تماشيا وخصوصياتها من فردانية ، حرية و اللاتجانس من حيث تركيبة الساكنة[27] ، وهو حال مدينة وهران خاصة عندما نتذكر الخلفية التاريخية لعلاقة وهران مع التحضر ومدته ، ثم إن الإنتشار الواسع للسكن العمودي بأنواعه المختلفة يعرض علينا بتعبير CHAMBOREDON أشكال القرب الفضائي و البعد الإجتماعي المختلفة[28] ، وفي المقابل فإن الجوار بحي أرض جاربو أقل ما يقال عنه أنه جوار من نوع خاص يندرج جزء منه ضمن ما يفرضه القرب الفضائي الملازم للقرب الإجتماعي لتتراءى لنا معالم الحومة كعنوان كبير للقرب المكاني و الإجتماعي ، وهذا هو حال علاقات الجيرة التي تربط الأسر المشتركة في نسب واحد حيث تتوزع داخل الحي أسر تربطها علاقات قرابة دموية قوية تتجاور مع بعضها البعض وتتبادل علاقات جيرة متينة وتتضامن فيما بينها بشكل ميكانيكي بالمعنى الدوركايمي وكثيرا ما تتكرر مشاهد التعاون و التكافل بين هؤلاء لترسم لنا جوارا لا يعتمد بشكل كلي على الحسابات منفعية مسبقة .إن الجوار هنا يعكس القدرة على إختيار الجار الذي ننسجم معه ،خاصة إذا ما إسترجعنا أن تمركز الساكنة بحي أرض جاربو كثيرا ما إستفاد من العلاقات الأسرية قصد الحصول على مكان بالحي أو تسهيل الإقامة به مما جعل الأفراد يشجعون أقاربهم على مجاورتهم ،وهذا ما تعبر عنه بشكل صريح طريقة تصرف هؤلاء المتجاورين فيما يرتبط بالأفراح ، الولائم و الجنائز أين يصعب أحيانا معرفة أي بيت يحتضن أي حدث، وأي الأشخاص هم المعنيون المباشرون به ، لأن الحاصل هو حركة عشوائية في ظاهرها لمجموع أشخاص بين مجموعة مساكن ذاهبا و إيابا لدرجة يشعر الناظر فيها إلى المساكن كأنها مسكن واحد ، وهذا الجوار لا يمكن تكراره وبنفس الشدة في أحياء مدينة وهران الأخرى ما عدى بعض الإستثناءات النادرة جدا ، ومع ذلك فإن حي أرض جاربو يسمح بجوار خارج إطار القرابة وهو يمثل مستوى ثاني من القرب الفضائي مجتمعا بالقرب الإجتماعي خاصة في حالة الجيران القدمى و الذين كثيرا ما يشتركون في نفس الأصل الجغرافي أو طوروا علاقات قرب خاصة بهم نتيجة للتجاور لمدة طويلة فتولد لديهم شعور جامع قوي قد يجد تفسيرا له ضمن منطق "الحومة" كوحدة إجتماعية تستعير من الأسرة كثيرا من خصائصها ، وهذا النوع من الجوار على إختلاف درجاته نجده يناقض ما يجب أن تكون عليه المدينة ، لكن الأمور ليست بهذه البساطة فنفس الحي يعرض علينا جوارا مغايرا لما سبق وهو حال ما يجمع المتجاورين من غير الأسرة الواحدة أو النسب الواحد ، وحتى من غير الأصل الجغرافي المشترك و عنوانه بلغة سكان أرض جاربو"قادر الناس يقادروك بمعنى "إحترم الناس كي يحترموك" لأنه يتحرك ضمن إطار المصلحة لكن ضمن سياق مختلف، فالمصلحة هنا لا تعكس تلك العقلانية المادية في تسيير العلاقات الإجتماعية بالكيفية التي يصبح فيها إختيارنا لمن نتعامل معهم نابع من حجم المنفعة المادية الممكن تبادلها وهو ما يروج له حول العلاقات الإجتماعية المدينية ، لكن المقصود بالمصلحة هنا هو البحث عن أنسب طريقة للتواجد مع ذلك الآخر الغريب بحيث يحترمني و أحترمه، فالسجل المستفاد منه في هذه العلاقة يتضمن قيما مثل الحرمة ، الشرف ، الإحترام ، الرجولة ...إلخ ، ولا ينتظر تبادل منافع مادية بالدرجة الأولى ،و المسألة هنا القدرة على التعايش بالشكل الملائم تبعا لمنظومة القيم المشتركة بين السكان ،لأن سكان أرض جاربو و إن إختلفوا من حيث أساليب التفكير و التصرف إلا أن إنحدارهم من البيئة

الريفية قد يوحدهم حول مسألة ما ينتظرون من بعضهم البعض إحترامه أو عدم تجاوزه بما يسهل عليهم التواجد معا ، ومن أجل كل هذا فالجوار هنا لا هو ريفي خالص و لا مديني خالص لكن طابعه العام و جزئه الأكبر يبتعد عن الخصوصيات المدينية بالشكل الذي ألفناها به، فالأمر أعقد مما قد يبدو عليه ويحتاج منا السماح لأفكارنا بالإنعتاق من النماذج والصيغ التي سبق لنا إستبطانها سواء من خلال معايشتنا للواقع المديني أو إهتمامنا بما أنتج حوله بشكل نظري وغالبا في بيئات إجتماعية مغايرة لما نحن عليه .

المسكن

إن المساكن بحي أرض جاربو تشترك في نفس التسمية و هي "الحوش" لكنها تتجلى في الواقع من خلال أشكال و أحجام متعددة ، وهذا يرجع إلى إختلاف واضح في المستوى المادي لأصحابها ، وبإختصار الكل هنا يبني مسكنه إستجابة لحاجته في السكن وما تسمح به إمكانياته ، إضافة إلى ما تتيحه الأرض التي ينشىء مسكنه فوقها [29] وإن أمكن فحسب الذوق ،وهذا الترتيب يستجيب لطبيعة الإكراهات المختلفة بحيث يؤخر الجانب الجمالي للمسكن عن غيره من الجوانب لدى الكثير من السكان، وهنا وجب التذكير بأن الأمر يتعلق بتوفير مأوى كأولوية قبل أي شيء آخر ،وفي هذا السياق يرى ربوبورت بأن الحاجة إلى مأوى للتواجد به بعيدا عن الأخطار و الظروف المناخية وقصد الإستقرار هي أولى محددات شكل المسكن[30]،لدى فإن أغلبية المساكن بالحي بها أسقف قصديرية أو مزدوجة في بعض الحالات أين تسقف بعض الغرف بخرسانة بسيطة أو ثقيلة حسب الإمكانيات ف، حين لا تزال بعض المساكن القديمة بالحي بها أسقف من نوع "الردم "[31]. كما أن المظهر الخارجي للمساكن يتراوح بين الرديء و المتوسط ،في حين أن الطابع العام للحي تكونه مساكن متوسطة الحجم دون طوابق علوية مع أنها لا تشكل وحدة معمارية بقدر ما تشكل وحدة لونية عند النظر إليها ، واللون المتكرر هو لون الآجر الرمادي لمساكن متراصة متصلة ببعضها يتيه بصر الناظر إليها قبل أن يستطيع تمييز الحدود الفاصلة بينها . وقد نجد إختلافا في الأشكال الداخلية للمساكن تبعا لنفس الإكراهات سابقة الذكر، لكنها تتشارك في كونها تعكس تصورا سكنيا موحدا وحدة النموذج الثقافي المشتقة منه لكن بإختلاف في طرق تجسيده ، فوجود الفناء مثلا داخل المسكن أمر يتكرر لدى كل من تسمح لهم مساحة المسكن بذلك لأن الفناء هو الفضاء النسوي بإمتياز الذي يسمح للمرأة بالتصرف بكل حرية بوجود عنصري الهواء و النور بدون أن تعرض نفسها لنظرات الآخر الذي يجتهد في حمايتها منه تحت مسمى الحرمة مما يجعل المسكن منغلقا نحو الخارج بالقدر الكافي الذي يضمن حصول الحرمة "فالجدران الخارجية لا تقوم فقط بوظيفة جمالية"[32] ،و مراعاة مسألة الحرمة في عزل الفضاءات عن بعضها ضرورة لا يستغني عنها أحد،لهذا فإن الألوان و طريقة التأثيث ، وعدد الغرف داخل مساكن حي جاربو لا تدل على إختلاف في النماذج المتبناة في تصميم الجزء الداخلي من المسكن بقدر ما تدل على القدرة على الإختلاف في التعبير عن نفس النموذج بقدرات مادية مختلفة ، وهنا لا مفر بالتذكير بما يقصده شومبار دولو من التفرقة بين الفضاء الإجتماعي الموضوعي و الذاتي كما لا مفر أيضا من التذكير بالفرق بين القلائل الذين يملكون القدرة على تحويل وتغير الفضاء الذي يعيشون به وبين من يضطرون للخضوع لما يمليه عليهم الفضاء.وفي نفس المجال لا بد من التنبيه إلى أن عددا مهما من تلك المساكن تقع داخل بساتين أو تتصل بها مباشرة أو تقع بمحاذاتها، لأن أصل المنطقة عبارة عن بساتين احتضنت النشاط الزراعي مستفيدة من توفر عنصر الماء ثم تحولت

إلى تجمع سكني تأقلم مع طبيعة المنطقة كما لم يغير من هويتها الكثير لأن الساكنة إنسجمت مع فضاء مادي يحرمها و يحقق لها في آن واحد الكثير من المتطلبات فهو يضمن لها تحقيق أسلوبها في الحياة عن طريق توفير بيئة مادية أقرب للتي فقدتها (الريف) عندما غادرت أماكن إقامتها الأصلية ، وهذا ما يفسر تشبث جزء مهم من ساكنة بهذا الحي حتى عندما أتيحت لها الفرصة لمغادرته بعد الإستقلال .إن الإنسان داخل المدينة كثيرا ما يجتهد لتغيير فضاءات مصممة مسبقا وبطرق توصف بأنها علمية كونها من إبداع المهندسين و المصممين وسبق لها أن خضعت لخبرة التقنيين وأنها جزء من سياسة عمرانية معينة ...إلخ ، لكن يبقى أن الأهم وهو" إلى أي مدى تلائم تلك الفضاءات الذين سيستعملونها وتحترم رغباتهم ، تطلعاتهم ، و بكل بساطة ما هم عليه ؟" سؤال يطرحه حجيج الجنيد[33] و يطرحه كثيرون ممن يهتمون بالشأن الحضري في الجزائر ، وفي المقابل نجد أن ساكنة هذا الحي لم تجتهد كثيرا لتغير من معالمه المادية أو حتى صقلها كي تصبح مطابقة لما هي عليه ،لأن هذا الحي الذي يحتوي على كثير من الإكرهات المادية (طبيعة التضاريس ،نوعية الأرض ،قلة التجهيزات) يسمح لساكنته بالتواجد بأقل قيود ممكنة و بأن تكون على ما هي عليه بأقل جهد ممكن ، إن القدرة على تجسيد تصميم معين لمسكن على أرض الواقع أين تكن مساحته أو قيمة مواد بناءه، هي قمة الإنجاز الذي يؤدي بالشعور بالرضى عن الذات ولو كان ذلك المسكن الأكثر هشاشة لأن الإنسان بحاجة أولا و أخير لأن يجسد بشكل مادي الحاجة إلى السكن، خاصة إذا كان هذا الأخير غير مكلف نسبيا ،ولا يفرض أي أعباء ومصاريف وجب تأديتها للسلطات ، و يسهل التنقل إلى بقية أحياء المدينة الأخرى قصد العمل ، التجارة ، التعليم ...إلخ، وهذا ما يؤسس لثنائية في الخطاب لدى ساكنة هكذا أحياء فهم لا يتذمرون منها بقدر ما يجدون فيها حلا يوميا عمليا للحاجة إلى السكن .

"أرض جاربو"فضاء مديني بنشاط ريفي أم نشاط ريفي داخل فضاء مديني؟

لقد أصبح من البديهي اليوم التفرقة بين المدينة والريف بإعتماد معيار تخصص ساكنة الأرياف أو الجزء الأكبر منها في النشاط الزراعي بحيث يصبح الحقل مكانا للتواجد شبه الدائم لساكنة الريف قصد ممارسة الزراعة كنشاط أساسي ومؤسس لطبيعة كل من الثقافة ،القيم و التمثلات الريفية بالشكل الذي تصبح فيه الحقول سمة مميزة للفضاء الريفي في حين أنها تختفي داخل المدن وفي بعض الحالات تنتشر بالقرب منها ، لكن عندما تنتشر الحقول داخل أحد الأحياء المتواجدة بالمدينة يصبح الأمر مربكا وهو حال حي أرض جاربو و إن تراجعت مساحات الحقول به مقارنة بالسنوات الماضية نتيجة للتوسع السكاني ، كما أن وصف ليسباس[34] للبساتين و الحقول بالمنطقة منذ الفترة الإستعمارية لازال يحافظ على جزء مهم من واقعيته فسوف نتعدى مستوى الإرباك و الغموض لنتحدث عن التناقض بين ما يجب أن يكون عليه الحي بالمدينة وما هو عليه في الواقع .إن منشأ ذلك التناقض سببه أن الحقول أو البساتين كأهم مكون للفضاء الريفي تتكرر بشكل ملفت للإنتباه داخل أحد أقدم أحياء مدينة وهران ، لكن هل هذا الواقع يجعل من هذا الحي فضاء ريفيا داخل المدينة ؟ أو فضاء مدينيا بخصوصيات ريفية ؟ أم شيء آخر لا نملك له وصفا كونه يجمع الضدين معا ؟.وجب أن نذكر هنا مرة أخرى بما يميز الريف عن المدينة أي تخصص الساكنة في الزراعة و الرعي وهو ما يعتبر بديهيا منذ زمن إبن خلدون وتفرقته بين البدو و الحضر[35] ، لكن الخصوصية بالنسبة لحي أرض جاربو هي أن البساتين وإن تكرر وجودها فجزء صغير من الساكنة فقط يمارس بها نشاطا زراعيا فعليا في حين أن منطقة رأس العين

ككل كانت تشتهر ببساتينها وخاصة أثناء إقامة المهاجرين المغاربة الذين إحترفوا النشاط الزراعي بها قبل ترحيلهم سنة 1975 ، أما أصحاب المواشي و الماعز فعددهم أقل لكن إنتشار حيواناتهم بالحي وبالقرب من مكبات النفايات تحديدا منظر مألوف، أما أصحاب الأحصنة و الأحمرة فهم لا يستعملونها في تنقلاتهم اليومية بقدر ما يستغلونها في التنقل أثناء ممارستهم أنشطة تجارية كبيع الخضر و الفواكه بأسواق مختلفة بالمدينة .عندئذ يتضح الواقع المركب و المعقد لحي أرض جاربو مرة أخرى ، فلا هو مماثل لأحياء المدينة بسبب ما هو عليه ، ولا للريف من حيث نشاط ساكنته ،لكنه حالة خاصة تقع بين نموذجين ، فالبساتين موجودة وتتكرر عبر الحي لكن أغلب سكان الحي يزاولون نشاطات غير الزراعة ، و الماشية وجودة لكن لا أثر يدل على إنتشار واسع لنشاط الرعي بوضوح و أما الأحصنة و الأحمرة فهي تستغل لغير التنقل بل للتجارة . لهذا بدل الجزم حول حضرية الحي أم عدمها نفضل التأكيد على تركيبته الفضائية الإجتماعية الخاصة و المعقدة .

جرت العادة أن ينتقد الواقع الحضري الجزائري بشدة وبعنف وهو ما حاولنا تفاديه لنفتح الباب أمام محاولة التحليل و التفسير خصوصا عندما نستحضر وجود واقع حضري يقترب بحذر مما ينتقد لدينا على المستوى المحلي ، ونشير هنا إلى ديترويت إحدى أشهر مدن الولايات المتحدة الأمريكية و مهد الصناعة الميكانيكية التي تحولت من هيمنة النشاط الصناعي إلى الإهتمام بالزراعة وذلك بعد الأزمة الإقتصادية التي مست كبريات شركات السيارات الأمريكية والتي أغلقت مصانعاها، مما جعل جزء مهم من الساكنة المرتبطة وظائفها بقطاع الصناعة الميكانيكية تغادر ديترويت بشكل كبير ، فنتج عن كل ذلك تراجع في عدد الساكنة و بقايا بنية تحتية صناعية شاغرة تم إستغلالها لزراعة الخضر للإستهلاك المحلي من طرف الساكنة ، وهو ما تحول من إستثناء إلى شبه قاعدة ظهر معها مصطلح الزراعة الحضرية للتعبير عن نشاط تمارسه ساكنة أقل ما يقال عنها أنها حضرية ، وبالرجوع إلى ماضي مجموعة من الدول كبريطانيا ،أمريكا ، كندا ، فرنسا نكتشف أن ممارسة النشاط الزراعي على إختلاف هيئاته داخل المدينة هو واقع ظهر أواخر القرن 19 ، بل وإرتبط الأمر بإمتهان جزء من ساكني المدينة للنشاط الزراعي بشكل يكاد يكون دائم[36] .لربما كانت ممارسة نشاط الزراعة بشكل محدود أو واسع داخل الفضاء المديني الذي سبق وأن تأكدت هويته في زمن مضى لا تنفي عنه و لا عن ساكنته الطابع الحضري ، خاصة في الحالات التي تدعم فيها مكوناته وأشكاله ذلك الحكم فلا يمكن لأحد أن يشك في أن أحياء ديترويت مدينية وحتى تلك التي تمارس بها أنشطة زراعية بشكل واضح فالطرقات ، بقايا المصانع، شكل البنايات ، المساحات الخضراء و تصميمها كل ذلك يوحي بالمدينة ، في حين أن ما يعكسه الفضاء المادي بحي أرض جاربو لا يوحي بالتواجد في المدينة بعيدا عن ما يمكن قوله حول طبيعة الساكنة ، وفي الوقت نفسه لا يصدق عليه عنوان ترييف المدن إذا ما إستندنا إلى ماضيه الذي لم تختفي كل معالمه فهو كان و لا زال موجودا تقريبا بنفس المواصفات ما عدى التوسع السكاني على حساب مساحة البساتين التي كانت موجودة به .

خاتمة

إن مسألة المدينة في أيامنا هذه أصبحت تطرح بشكل يغذي الجدل القائم أصلا بين (المدينة /ريف)كمسميات دقيقة بسبب عدم وضوح معالم مدن اليوم التي لا تسهل علينا الشعور بالتواجد داخل أو خارج المدينة ، أين أصبح التساؤل حول ما إذا

كانت تسمية "المدينة " اليوم غير وفية لمعناها الحقيقي و لا تعكس وجودا أصيلا بقدر ما تعكس حالة يصدق عليها مسمى L'urbain[37] وكفى.

في الأخير نجد أنفسنا أمام حي داخل مدينة وهران يتصف بالهشاشة بشقيها المادي و البشري ، بدون تجهيزات تقريبا و لا تخطيط مسبق ،لكنه و بالمقابل يجنب ساكنته الشعور بالإغتراب عن ثقافتها الأصلية _ذات المنشأ الريفي _عكس ما تفرضه غيره من الأحياء بوهران سواء التي تنتمي للفترة الإستعمارية أو التي أنجزت بعد الإستقلال ، لأن هذا الحي يقاوم فكرة الإجتثاث كما يطرحها بورديو[38] والذي تسببت فيه آلة التعمير الإستعمارية و حافظت نظيرتها الوطنية إلى حد ما على إستمراره بعد الإستقلال ، فأصبح حي أرض جاربو يحتضن أسلوب حياة لا يمكن وصفه بالحضري أو الريفي ببساطة بل يدفعنا للإعتراف بكونه الإستثناء للقاعدة ، ويدفعنا للحديث عن التعقيد و التداخل على أكثر من مستوى و هذا الواقع يكرر نفسه في أكثر من حي و مدينة جزائريين نتيجة سياسات الإقصاء و التهميش من طرف الجهات الرسمية و الإرتجال و التلقائية من طرف الساكنة في تحقيق الحاجة للسكن و حلم التواجد داخل المدينة في حدود ما تسمح به الإكراهات المختلفة ، لتنشأ أحياء أو تستمر أخرى بالشكل الذي هو عليه " حي أرض جاربو ".

الهوامش:

---

(1) إبن خلدون عبد الرحمن ، "المقدمة"، دار الهدى للنشر، عين مليلة،2009،ص149.

(2) FIJALKOW,Y., Sociologie des villes, 3 eme éd , La découverte , Paris ,3eme édition ,2007,p47.

(3) ROUINA , M. , Géographie humaine d'une ville a la veille de la guerre de libération : le cas d'Oran, in LALAOUI A et autres ,ORAN AU PLURIEL ,2eme édition, 2007, Edition El-Rached ,p80.

(4)جرت العادة في الخطاب الرسمي حول المدينة الجزائرية، بأن توصف مناطق سكنية وأحياء بكاملها بالهشة أو غير الرسمية ، كما قد نجد لها مسميات أخرى كالعشوائيات أو أحياء الصفيح بإختلاف الجهة التي تقف وراء التسمية.

(5) LESPES ,R . ,ORAN, Etude géographique et d'histoire urbaines ,Edition Bel horizon,2003,p113.
(6) Idem, p 18.
(7) COTE , M., L'Algérie ou l'espace retourné ,Flammarion,1998, paris ,p 112- 113.
(8)في سنة 2007 قام القطاع الحضري البدر بتكليف من الوالي بإنجاز إحصاء خاص بالسكن الهش كون أن مناطق مثل رأس العين، كوشة الجير،تابعة له إداريا وهي تعد من بين أهم المناطق التي توصف بالهشاشة بوهران
(9) Source :(PDAU) Plan directeur d'aménagement et d'urbanisme du groupement d'Oran, première phase ,Novembre 1995, l'URSA.
(10) Ibid., p80.
(11)ما تم ذكره في هذه الفقرة يمثل ملاحظات مباشرة ناتجة عن معاينة للواقع كوننا شاركنا في إنجاز المرحلة التحضيرية للإحصاء العام للسكان و السكن لسنة 2008 في جزئها المتعلق بالقطاع الحضري البدر أين وقفنا على كل ما ذكرناه.
(12)إبن خلدون ، مرجع سبق ذكره ،ص151.
(13)وصف وضعية الطرقات بالحي هو القاعدة و لكن تستثنى منها طريق واحدة تتسع لمرور السيارات وبها بقايا التزفيت، وهذه الطريق تمر بمحاذاة الحي وتربطه بأحياء رأس العين السفلى بإتجاه (حي سيد الهواري) كما أنها تربطه في المقابل بأحياء (كوشة الجير صعودا نحو حي الأمير خالد).

(14) Navez–Bochanine ,F., Habiter la ville marocaine ,l'Harmattan , Casablanca,1997,p149.

(15) BENKIRANE , R., Bidonville et recasement, modes de vie à Karyan Ben M'sik (Casablanca), www.archipress.org/reda/ ?page_id=295, 15/09/2015.
(16) COSTE, L., Henri Lefebvre le droit à la ville, vers la sociologie de l'urbain ,Ellipses ,Paris, 2009, p 47 .

(17) HANNERZ , U., Explorer la ville ,traduit et présenté par ISAAC, Joseph , Les éditions de minuit ,Paris,1983,Paris, p49.

(18)في الجزائر كثيراما تتم الإستفادة من الأقارب لتسهيل عملية الإستقرار المديني بالنسبة للقادمين الجدد من الريف وهو الأمر الذي يعتبر ميزة مشتركة بين الأجيال المختلفة للمهاجرين منذ الفترة الإستعمارية وهو ما يعبر عنه مصطفى بوتفنوشت في كتاباته حول العائلة بشكل واضح في كتابه :النسق الإجتماعي و التغير الإجتماعي ، ديوان المطبوعات الجامعية ، الجزائر ، ص 38 .(باللغة الفرنسية).

(19) SOUIAH , S-A., Les marginalités socio-spatiales dans les villes Algériennes In SOUIAH et Autres Villes arabes en mouvement, cahier n 18, L'harmattan ,Paris,2005, p53.

(20) Ibid. p 54.
(21) Safar –Zitoun Madani, Stratégie patrimoniale et urbanisation, ALGER 1962-1992,L'harmattan ,Paris ,1996,p69.
(22)من الواجب علينا و في هذا السياق الإعتراف بأن حال الطرق و الشوارع داخل مدينة وهران ليست مثلا يحتدى به على مستوى التجهيز ، لكن جزء كبير منها نتجت عن مخططات تهيئة رسمية تستجيب لشروط ومعايير تقنية ،كما يتم الإهتمام بها إلى حد ما ، بينما (الطرقات) بحي أرض جاربو تستجيب للتلقائية والبعد عن كل ما يجب أن تكون عليه الشوارع أو الطرقات بالمدينة.

(23) BOURDIEU ,P., Esquisse d'une théorie de la pratique ,précédé de trois études d'ethnologie Kabyle ,Editions du seuil ,Paris, 2000, p52.
(24) BOURDIEU, P. ,le sens pratique, Editions de minuit ,Paris,1980, p87.

(25) DRISS ,N. , Les espaces publics à Alger, mise en scène des formes opposées des usages, In BOUMAZA, N.. ,Villes réelles ,villes projetées, villes maghrébines en fabrication, Maisonneuve et Larousse, Paris, 2005,p201.

(26)لعيبي شاكر، العمارة الذكورية في البناء و المعايير الإجتماعية و الأخلاقية في العالم العربي ،رياض الريس للكتب و النشر،بيروت2007 ،ص 30.

(27)نعتقد أنه أصبح من الضروري اليوم التفكير من جديد حول الفردانية و الحرية والعقلانية كعناوين لصيقة بالمدينة بشكل حتمي في ظل وجود أشكال متعددة من الحياة الحضرية داخل نفس المجتمع الواحد.

(28) CHAMBOREDON, J-C. ; LEMAIRE ,M ., Proximité spatiale et distance sociale .les grands ensembles et leur peuplement, Revue française de sociologie ,n XI, Paris 1970.

(29)سبق وأشرنا إلى صعوبة المنطقة وتضاريسها وكونها بمحاذاة مجرى مائي ،وكل هذه الأمور لها تأثيرها عند تصميم المسكن .

(30) RAPOPORT, A,. pour une anthropologie de la maison , traduit par MEISTERSHEIM A.M et SCHLUMBERGER M , DUNOD, Paris,1972 ,p27.

(31)الردم كلمة يتداولها سكان الحي ، والمقصود بها سقف يتم إنجازه بخلط القصب و الطين ، وهي تقنية قديمة وقليلة الإستعمال حتى داخل الحي.

(32)لعيبي، مرجع سبق ذكره،ص94

(33) Cf HADJIJ, E- D. , Urbanification et appropriation de l'espace, le cas de la ville d'Oran, Thèse pour l'obtention du doctorat d'état de sociologie ,Université d'Oran ,Algérie, p 243.

(34) Opcit ,lespes,p90.

(35)أنظر إبن خلدون ،مرجع سبق ذكره ،ص148.

(36) BOULIANNE, M .,L'agriculture urbaine au sein des jardins collectifs Quebeqcois :Empowerment des femmes ou "Domestication de l'espace public", Anthroplogie et societe ,n 1, Canda,2001,p65.

(37) WIEROKA, M., la ville n'est pas l'urbain ,in ….La ville, Sciences humaines ,Auxerre ,2011,p5

(38) Cf BOURDIEU, P. ; SAYAD, A-E. , Le déracinement, la crise de l'agriculture traditionnelle en Algérie, Les éditions de minuit, Paris,1964 .